حتمية ماكلوهان لفهم قيمية عزي عبد الرحمان

أ.بداني فؤاد جامعة سعيدة

ملخص:

تطرقنا في المقال إلى نقد نظرية "ماكلوهان" المتعلقة بالحتمية التكنولوجية لوسائل الإعلام و مقارنتها بنظرية "عزي عبد الرحمان" التي تعد من النظريات الحديثة التي أظهرت الدور السوسيولوجي لوسائل الإعلام وطبيعة تأثيرها على مختلف المجتمعات .لنستنتج في التحليل أن الحتمية التكنولوجية هي تمظهر تقنيات الاتصال و الإعلام في الحياة الاجتماعية حتى سميّ هذا الجيل بجيل الرقمنة والتكنولوجيا ، هذا من وجهة نظر "مارشال ماكلوهان " الذي يؤكد أهمية لاتصال الشفوي أي المسموع حتى توصل إلى أن الإذاعة كوسيلة اتصال جماهيري هي وسيلة "ساخنة" الأكثر تأثيرا على الجماهير من الوسائل الأخرى, ليأتي في المقابل الدكتور و الباحث العربي "الجزائري" عزّي عبد الرحمان " الذي تشبع بالثقافة العربية الإسلامية و احتك بها و اطلع على التراث الغربي على مستوى التنظير في مجالي الإعلام و الاتصال هذا الأخير جاءنا بنظرية جديدة لم يهضمها بعض المفكرين العرب ألا وهي الحتمية القيمية.

Résumé :

Nous avons discuté dans l'article pour critiquer la théorie du déterminisme technologique "Macluhan " et à comparer la théorie de la " «Azzi Abdul Rahman » l'une des théories modernes qui ont montré le rôle sociologique des médias et de la nature de leur impact sur les différentes communautés .et nous avons conclus que il ya des effets des techniques de communication et des médias dans la vie sociale , à venir d'autre part , le Dr et chercheur arabe " "algérien " « AZZI- Abderrahmane » qui sature la culture arabe et islamique brossé sur et informés sur le patrimoine de l'Ouest au niveau de l'endoscopie dans les domaines de l'information et de la communication de ce dernier est venu à nous une nouvelle théorie pas digérer certains intellectuels arabes , à savoir la valeur inévitable.

مقدمة :

إن علوم الإعلام والاتصال من العلوم الجديدة التي تبحث لها عن هوية خاصة بها، انطلاقا من أن نشأتها كانت بعد تقاطع عدة علوم كالعلوم السياسية وعلم الاجتماع، والفلسفة وعلم النفس.. إلا أنه شهد عدة تنظيرات منها ما كان مستندا إلى الفكر الاجتماعي بصفة عامة ومنها ما استند إلى الممارسة الإعلامية بشكل خاص و منها ما اشتغل أصحابها بالظاهرة الاتصالية على مستواها الكلي (macro level)، ومنها ما جزّأ أصحابها نظرتهم إلى العملية الاتصالية إلى مستوياتها الضيقة (level micro)[1].

ويقسم الباحثون النظريات الإعلامية إلى الأنواع التالية:

1- النظريات المتعلقة بالجمهور. يرتبط هذا النوع من النظريات بالجمهور المستخدم للمواد الإعلامية, ويقوم هذا النوع من النظريات على أساس أن الجمهور يستخدم وسائل الإعلام بسبب دوافع نفسية أو اجتماعية.

ومن هذه النظريات ما يلي:

أ- نظرية الاستخدام والإشباع: تفترض هذه النظرية أن الجمهور يستخدم المواد الإعلامية لإشباع رغبات كامنة لديه، وأن دور وسائل الإعلام هو تلبية الحاجات فقط.

ب- نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام :تعتمد فكرة هذه النظرية على أن استخدامنا لوسائل الإعلام لا يتم بمعزل عن تأثير المجتمع الذي نعيش داخله، على أن قدرة وسائل الإعلام على التأثير تزداد عندما تقوم هذه الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بشكل مميز ومكثف[2] .

2- النظريات المتعلقة بالقائم بالاتصال: تصنف بعض النظريات على أنها مرتبطة بالمرسل أو القائم بالاتصال ومن هذه النظريات ما يلي:

أ - نظرية الرصاصة أو الحقنة تحت الجلد: تعتمد هذه النظرية على أن وسائل الإعلام تؤثر تأثيراً مباشراً، وسريعاً في الجمهور، وأن الاستجابة لهذه الرسائل مثل رصاصة البندقية تؤثر بعد انطلاقها مباشرة.

ب- نظرية الغرس الثقافي: تفترض هذه النظرية أن الجمهور يتأثر بوسائل الإعلام في إدراك العالم المحيط به وتزيد معارفهم، خاصة الأفراد الذين يتعرضون بكثافة لوسائل الإعلام[3].

ج- نظرية ترتيب الأولويات: تصنّف هذه النظرية على أنها من نظريات القائم بالاتصال، ذلك لافتراض النظرية أن وسائل الإعلام هي من يقوم بترتيب اهتمامات الجمهور من خلال إبراز القضايا التي تستحق وإهمال قضايا أخرى , فيبدي الجمهور اهتمامه بهذه القضايا دون غيرها.

3- النظريات المتعلقة بنوع التأثير الإعلامي الذي تحدثه وسائل الإعلام في الجمهو, وهو على ثلاثة أنواع :

أ- نظريات التأثير المباشر (قصير المدى): يرى هذا النوع من النظريات، التأثير المباشر لوسائل الإعلام في الجمهور, ومن هذه النظريات نظرية الرصاصة الإعلامية.

ب- نظريات التأثير التراكمي (طويل المدى): يرى هذا النوع من النظريات أن تأثير وسائل الإعلام لا يظهر مباشرة، وإنما بعد فترة زمنية طويلة من خلال تراكم المتابعة الإعلامية. ومن أمثلة هذا النوع نظرية دوامة الصمت القائمة على فرضية: أن قيام وسائل الإعلام بعرض رأي الأغلبية، يقلل من أفراد الرأي المعارض[4].

ج- نظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام: يرى المنظرون لهذا التصنيف أن وسائل الإعلام تعمل داخل نظام اجتماعي فتراعي الخصائص النفسية والاجتماعية للجمهور,وأنه ينبغي مراعاة جميع ظروف وعناصر الاتصال –

– و في الوقت الذي يؤمن فيه ماكلوهان بما أسماه بـ«الحتمية التكنولوجية»، يبقى السؤال هل تلغي هذه الحتمية شعور الإنسان بأنه مخلوق له كيان مستقل قادر على التغلب على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس لما يحدث حولهم، حيث توثر الاختراعات التكنولوجية المهمة تأثيرا أساسيا على المجتمعات[5].

هذا الاتجاه المعاكس بين حتمية التكنولوجيا والاستقلالية عنها، يطرح استفهاما آخر: هل يمكن اعتبار التغير التكنولوجي حتميا لا مفر منه؟، يجيب ماكلوهان عن ذلك في أنه إذا فهمنا عناصر التغير يمكن السيطرة على التكنولوجيا واستخدامها في الوقت الذي نريده بدلا من الوقوف في وجهها[6].

"مارشال ماكلوهان ": وواحد من أشهر المثقفين في النصف الثاني من القرن الـ21 أمام هذا كله يأتي طرح عربي أخر من طرف الدكتور عزي عبد الرحمان ليعطي تفسيرا مغايرا للحتمية القيمية الإعلامية انطلاقا من تجاربه الإعلامية و بيئته العربية الإسلامية إلى حد كبير لقت أطروحته اتفاقا و فهما مقبولا لما أوضحه في فهم النظرية الحتمية حسب العقل العربي الإسلامي كونها تتناسب مع الأوضاع التي يعيشها الفرد العربي .

وتعد نظرية "ماكلوهان التكنولوجية" لوسائل الإعلام من النظريات الحديثة التي ظهرت عن دور وسائل الإعلام وطبيعة تأثيرها على مختلف المجتمعات[7].

ولكن السؤال الأهم الذي يجيب عليه ماكلوهان: هل يمكن أن تعالج وسائل الإعلام مشاكل المجتمع، فيوضح أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعته (أي المجتمع) وكيفية معالجة مشاكله، وأي وسيلة أو امتداد للإنسان تشكل ظروفا تؤثر على الطريقة التي يفكر بها ويعمل وفقا لها. وتربط نظرية ماكلوهان بين الرسالة والوسيلة الإعلامية، ففي الوقت الذي يرى فيه بعض الباحثين الإعلاميين أن الوسيلة هي المحددة لنوعية الاتصال وتأثيره، فإن ماكلوهان يرى أن الوسيلة هي الرسالة–

–مبينا أن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تقنيات الوسائل الإعلامية، فالموضوعات والجمهور يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر ما يشكلها مضمون الاتصال. وإذا تطرقنا إلى المراحل الأربع المطروحة من قبل ماكلوهان حول تطور التاريخ الإنساني:الشفوية ما قبل التعلم، والكتابة أو النسخ وعصر الطباعة، وعصر وسائل الإعلام الإلكترونية، فيشير ماكلوهان إلى أن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على التشكيل[8] ليرد عليه الدكتور"عزي عبد الرحمان" أن القيم السائدة في المجتمع هي التي تحدد نوع الوسيلة أي القناة و تعبر عن أصل المجتمع المستخدمة فيها , مثلا في ديننا الحنيف يقول عزّو جلّ عن الدين : بعد باسم الله الرحمان الرحيم "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا " الآية 282 من سورة البقرة . و يعتبر الدّين من العلاقات الاتصالية التعاملية في الحياة اليومية للمجتمعات و مع ذلك ديننا يؤكّد على الاتصال الرسمي أسبق بكثير من "الجيمنشافت" و "الكيمنشافت" في مفهوم العقد الاجتماعي و الأدلة كثيرة تدل على أن أساس هذا الاتصال في الأصل هو" إلاهي" من نظرة إسلامية أن الله سبحانه و تعالى علمّ "أدم "عليه السلام الأسماء كلها و أن الوحي هو أول اتصال وجد على وجه الكون . ويرى ماكلوهان في نظريته أن الكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية الموضوعات والجمهور الذي توجه له رسالتها يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال.ويقسم ماكلوهان وسائل الاتصال إلى «باردة» و«ساخنة»[10] –

– ويقصد بالأولى: التي تتطلب من المستقبل جهدا إيجابيا في المشاركة والمعايشة والاندماج فيها، مثل : الكتابة والهاتف والتلفزيون، ويقصد بالثانية: هي الوسائل الجاهزة المحددة نهائيا فلا يحتاج من المتلقي بذل جهد أو مشاركة أو معايشة، مثل: الطباعة والإذاعة والسينما , وبما أن الكرة الأرضية أصبحت «قرية عالمية»، فإن ماكلوهان يؤكد أن ذلك أدى إلى ما أسماه «عصر القلق»، حيث توضح نظرية "ماكلوهان" أن وسائل الإعلام الإلكترونية ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان حتى وصفت بـ «القرية العالمية».

هذه الرؤية من قبل ماكلوهان كانت موضع انتقاد وتشكيك من بعض الباحثين في الأعوام الأخيرة، فيرى البعض منهم أن «القرية العالمية» في حاجة لتعديل يتناسب مع العصر ويتسق مع معطياته.

فيشير "ريتشارد بلاك" إلى أن «القرية العالمية» لم يعد لها وجود حقيقي في المجتمع المعاصر، موضحا أن التطور التقني الذي استند إليه "ماكلوهان" عند وصفه للقرية العالمية استمر في مزيد من التطور، وأدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى شظايا، مبينا أن العالم الآن أقرب ما يكون إلى البناية الضخمة التي تضم عشرات الشقق السكينة يقيم داخلها أناس كثيرون، وكل منهم يعيش في عزلة ولا يدري عن جيرانه الذين يقطنون معه في البناية ,[11] ويشير ذلك إلى أن التطور التقني كما يؤكد بعض الباحثين، تحول من «التجميع» إلى »التفتيت»، حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة عددا من خدمات الاتصال المتنوعة (اندمجت جمعيها في الشبكة العالمية «الإنترنت») مخاطبة الأفراد وتلبية رغباتهم الذاتية، وقد نتج عن هذه التقنية الجديدة تقلص أعداد الجماهير التي تشاهد برامج الشبكات الرئيسية للإذاعة المسموعة والتلفزيون التي تعمل بنظام البث التقليدي و صاحب هذه النظرية هو "مارشال ماكلوهان " المولود في 21 يوليو 1911 في مدينة "أد مونتن بالبرنا"، كندا. والدته كانت ممثلة ووالده تاجر عقارات.دخل ماكلوهان جامعة "مانيتوبا" وكان ينوى دراسة الهندسة ولكنه درس الأدب الإنجليزي وحصل على الماجستير في سنة 1934 وبعد أن حصل على الدكتوراه في سنة 1943 من جامعة كامبردج، درّس في عدة جامعات أمريكية ولكن منذ سنة 1947 عمل أستاذا للآداب في جامعة تورنتو. وقد تبنى هذه النظرية من أستاذه المفكر والمؤرخ الاقتصادي "هارولد أنيس" و يعتبر "ماكلوهان" من أشهر مثقفي النصف الثاني من القرن العشرين[12] كما ركز في نظريته على دور وسائل الإعلام وطبيعتها وتأثيرها على المجتمعات و في شكل عام هناك طريقتان للنظر إلى وسائل **الإعلام احدهما من حيث أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم و الأخرى أنها جزء من التطورالتكنولوجي.**

وإذا اعتبرنا أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم ينصب الاهتمام عند ذلك على مضمونها وطريقة استخدامها والهدف من هذا الاستخدام أما إذا اعتبرناها جزءا من العملية التكنولوجية فعند ذلك يكون الاهتمام بتأثيرها بغض النظر عن مضمونها باعتبارها جزء من العملية التكنولوجية [13].

في حين يرى "ماكلوهان" في نظريته (الحتمية التكنولوجية) انه لا يمكن النظر إلى مضمون وسائل الإعلام بعيدا عن الوسيلة الإعلامية نفسها فالكيفية التي تقدم بها الرسالة الإعلامية والجمهور المستهدف يؤثران على ما تقوله الوسيلة الإعلامية فركز "ماكلوهان" في نظريته على أهمية الاختراعات التكنولوجية ومدى التأثير الذي تحدثه في المجتمعات. ويعتبر "ماكلوهان" أن وسائل الإعلام تحدد طبيعة المجتمع والكيفية التي يعالج بها مشاكله ويعتبر أن الوسيلة امتداد للإنسان ولجهازه العصبي , فالتلفزيون يمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا والآلات الحاسبة مساوية لامتداد الوعي لدى الإنسان ومن هنا تبرز الضرورة

التكنولوجية من وجهة نظره إلى تقديم اكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الإعلام لأننا بمعرفة الكيفية التي تشكل بها التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا نستطيع أن نسيطر عليها ونتغلب على قدرتها الحتمية [14].

كما قسم ماكلوهان المراحل التي تعكس التاريخ الإنساني إلى أربع مراحل وهي:

1-المرحلة الشفوية أي ما قبل التعلم (القبلية).

2-مرحلة الكتابة (النسخ) التي ظهرت في اليونان القديمة.

3- عصر الطباعة من سنة 1500 إلى سنة 1900.

4-عصر وسائل الإعلام الالكترونية : من سنة 1900 إلى الوقت الحالي[15] .

وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة ساعدت على تشكيل المجتمعات أكثر من المضمون ويقسم ماكلوهان مراحل الاتصال إلى:

الاتصال الشفهي : وهي التي كانت في المرحلة القبلية و اعتمد فيها الإنسان على حواسه وكانت حاسة السمع هي المسيطرة و عاش الإنسان فترة كانت العاطفة هي التي تقوده اعتمادا على الإلهام البدائي أو الخوف.

الاتصال السطري : ظهور الكتابة التي بدأت معها الحضارة وكانت خطوة من الظلام إلى نور العقل وحلت فيها العين مكان الأذن كوسيلة للحس يكتسب بفضلها الفرد معلوماته.

يرى "ماكلوهان" أن الصحافة المطبوعة بدأت في القرن الخامس عشر مع اختراع الإخوة "يوحنا جوتنبارغ " للطباعة والتي تعتبر من أكثر الابتكارات التكنولوجية تأثيرا في الإنسان حيث تخلص من قبليته وساعد المطبوع الناس في التعلم والاعتماد على الذات وتكوين وجهات نظر شخصية وأصبح الاعتماد على الرؤيا هو الأساس في الحصول على المعلومات[16] , كما يقول ماكلوهان في كتابه (عالم جوتنبارغ) أن اختراع الطباعة بالحروف المتحركة ساعد على تشكيل ثقافة أوروبا الغربية في الفترة ما بين 1500 إلى 1900م حيث شجع إنتاج المواد المطبوعة على انتشار القومية كونه سمح بانتشار كبير وسريع للمعلومات أكثر من المكتوب باليد فهذه الثورة التكنولوجية – اختراع الطباعة – فصلت القلب عن العقل والعلم عن الفنون مما أدى إلى سيطرة التكنولوجيا والمنطق السطري.

الشفهي مرة أخرى : هذا العصر أطلق عليه ماكلوهان عصر (الدوائر الالكترونية) وتتمثل بشكل خاص في التلفزيون والسينما والعقول الالكترونية التي تشكل بدورها الحضارة في القرن العشرين.

و الأسس التي بنى عليها "ماكلوهان" نظريته في كتابه الشهير "الوسيلة هي الرسالة"[17] الذي قال فيه (إننا نعيش الآن في قرية عالمية وان الوسائل الالكترونية الحديثة ربطت كلاً منا بالآخر وبالتالي فإن المجتمع

البشري لن يعيش في عزلة بعد الآن وهذا يجبرنا على التفاعل والمشاركة فقد تغلبت الوسائل الالكترونية على القيود والوقت والمسافة وأدت إلى استمرار اهتمامنا كمواطنين بالدول الأخرى فالرصد الذي اتبعه في تطور المجتمعات وتحولها من الثقافة الشفهية إلى اللغة المكتوبة ومن الثقافة المكتوبة إلى الثقافة الالكترونية جعله يتصور أنه أدرك نهاية هذا التطور باكتمال بناء القرية العالمية التي تتوحد فيها حاجات الناس ومتطلباتهم إلى جانب وعيهم ومواقفهم ورؤاهم وربما مشاعرهم حيال الآخرين والأشياء وبعبارة أخرى قدرة وسائل الإعلام على إعادة إنتاج الوعاء الفكري الموحد في جميع أنحاء العالم.[18]

النقد الموجه لنظرية "ماكلوهان" : دافع الفيلسوف "برونو لاتور" عن عدم الفصل بين الأشياء والناس وسعى إلى تمييز أنظمة الكائن فالتقنية ليست هي الكائن إذ أن التقنية مليئة بالوعود بالنسبة للسياسة لكنها ليست السياسة بحد ذاتها فهي لا تغير شيئا مما هي عليه الديمقراطية حتى لو أن استخدام وسائل الإعلام يبدل التدريب على الديمقراطية. ويؤكد "ريتشارد بلاك" بان القرية العالمية التي زعم "ماكلوهان" وجودها في الستينات وتنبأ باكتمالها في نهاية القرن الحالي لم يعد لها وجود حقيقي في مجتمع نهاية التسعينات–

– وبدايات القرن الجديد وفقا للمنظور الغربي المعاصر حيث أن التطور الذي نظر من خلاله"ماكلوهان" استمر في التسارع والمزيد من التطور إلى حد أدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى ذرات وشظايا. فنلاحظ مثلا أن الاتصال في العائلة الواحدة يكاد ينعدم لتغلغل وسائل الإعلام الالكترونية في الحياة النفسية و الاجتماعية لأفراد العائلة تجد أن الابن يتواصل بالهاتف النقال أو بالانترنيت مع عالم غير حقيقي (افتراضي) على حساب الاتصال الحقيقي العائلي و هذا الوضع يؤدي إلى انعدام الاتصال و التفاهم الأمر الذي يؤدي إلى ظهور الأزمات الاجتماعية مثل العزلة الاجتماعية و مختلف الأمراض النفسية التي تعقد و تعرقل أهداف عملية الاتصال هذا ما أكدته دراسات الجمهور على أن وسائل الإعلام الحديثة شتت الجمهور و زادت من اتساع دائرة العزلة الاجتماعية لنستنتج أن القرية الكونية مجرد فكرة بعيدة عن الواقع و الحقيقة الاجتماعية[19] .

كما وجه نقدا للنظرية ووصفها بالبساطة المفرطة فالثورات (تكنولوجية كانت أو اجتماعية) لا تبدأ أو تنتهي في نقطة زمنية محددة أو مكان واحد مثل الثورات فهي عملية ذات جذور عميقة وأبعاد كثيرة.

و نجد كذلك "إليزابيث أيزنشطاين" إحدى الناقدات لهذه النظرية تذكر في مقالها |(ظهور ثقافة الطباعة في الغرب) أن تكنولوجيا المطبعة تطورت في الصين مئات السنين قبل تطورها في أوروبا لكن الخلفية الاجتماعية في الصين لم تجعلها وسيلة اتصال جماهيرية الأمر الذي جعل من المطبعة كوسيلة للاتصال الجماهيري في أوروبا تحدث الاضطراب وعدم الاستقرار ليظهر هذا بشكل خاص في فترة النهضة الإيطالية (فترة ولادة وتجدد في الفنون والأدب والعلوم) التي بدأت في القرن ال14 حتى ال16 , ومن ثم إلى سائر

أنحاء أوروبا. ووفقا للعديد من الناقدين و الدارسين فإن "ماكلوهان" لم يقدم براهين لكنه استدل بشكل أساسي على الأمثلة التاريخية والتاريخ يقدم أمثلة عن كل شيء لكنه لا يقدم براهين ومن الأمثلة المعاكسة لما قدمته الحتمية التقنية بان تطور الطباعة في الغرب قد ساهم في تعزيز الفردانية وتعزيز النهضة و أنها أدت في الصين إلى تمركز المعرفة وتمركز القدرات[20].

قراءات في نظرية الحتمية القيمية للدكتور عزي عبد الرحمان:

جاءت نظرية المفكر الجزائري "عبد الرحمن عزي" –كمساهمة عربية إسلامية– في مجال الأبحاث الإعلامية المعاصرة و كنقد وثورة على المحاولات العربية التي اقتصرت على إسقاط النظريات الغربية على خصوصية المجتمع المحلي، أو في إعادة قراءة التراث فيما يسمى "بالإعلام الإسلامي". في ظل هذا الواقع الأكاديمي الذي اتّسم بكثير من الجمود ، ظهر المفكر و المنظر "عزّي عبد الرحمان " ليحرّك المياه الراكدة في نهر الأبحاث العربية– الإسلامية في مجالي الاتصال و الإعلام ، بمجموعة من الدراسات العلمية التجريبية والأصيلة والمترابطة. أما الرابط بينها فهي أنها كانت تستند إلى متغير رئيسي واحد هي القيم التي مصدرها الدين؛ ما أنتج نظرية جديدة في علوم الإعلام والاتصال هي:نظرية الحتمية القيمية في الإعلام"[21].

قيمية الدكتور عزي عبد الرحمان :

تحصل المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي على شهادة الليسانس في الصحافة من جامعة الجزائر عام (1977) وعلى شهادة الماجستير في الصحافة عام (1980) وعلى الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام عام(1985) من جامعة نورث تكساس بأمريكا. وقبل ذلك، عمل الأستاذ محررا (تغطية الأخبار المحلية) في جريدة "الشعب" اليومية (الجزائر) لمدة سنتين. وتتجاوز خبرته في التدريس والبحث والإشراف 24 سنة إذ عمل كمدرس لمدة 3 سنوات في جامعة نورث تكساس، ثم كأستاذ مساعد فأستاذ مشارك فأستاذ لمدة 11 سنة بمعهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة 3 سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة 4 سنوات ثم أستاذا بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة 4 سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال جامعة الشارقة منذ 2006 ولا شك أن كل باحث –كما أشار عبد الرحمن عزي نفسه– متأثر (عن وعي أو غير وعي) بخلفيته وتجربته ومجموعة من المؤثرات الثقافية المتعددة كالمكان والزمان ,لذلك فإن فكر البروفيسور عزي لم يكن لينفصل عن البيئة التي نشأ وترعرع فيها فقد ذكر أنه فطم في بيئة (بني ورتيلان الأمازيغية الواقعة شرق الجزائر) مفعمة بالتعاليم الدينية وحفظ القرآن. كما أن إقامته بأمريكا بعض الوقت واحتكاكه المباشر مع أتباع مختلف النظريات جعله –كما اعترف بذلك هو نفسه– يدخل إلى مجال التنظير في

الاتصال تحت تأثير بعض أدوات المنهجية الغربية. وقد رأى أن ذلك أمرا عاديا إذا اعتبرنا أن المنهجية تولد أدوات أو (طريقة) عقلانية أو واقعية في الوصول إلى مجموعة من الحقائق النسبية. فالأدوات تملك مجالا مستقلا، أي محايدا نسبيا[23]. وقد مكنته تلك الأدوات من النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية، ما حفّزه للنّبش في التراث، فدرس ابن خلدون والنظرية الغربية، واستوقفته إسهامات مالك بن نبي أين أضاف عامل الإعلام إلى العناصر الأخرى المكونة لنظريته (الإنسان والتراب والزمان). ورغم أن إسهامات العلماء المسلمين الأوائل في نظرية الاتصال غير واضحة إلا أن عبد الرحمن عزي وجد في مناهجهم ما كان سندا أساسيا في تطوير نظريته .

كمأنّه درسّ بالجامعة العالمية الإسلامية ب"كوالالمبور" التي اعتبرها كثيرون موئل فكر الإسلام الحديث ويرى أن إضفاء الأسلمة على المعرفة الموجودة هو من باب الكسل الفكري والخوف من الاندماج في الآخر.

تنطلق النظرية من افتراض أساس يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد , ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابيا إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم– – ––وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابيا. وبالمقابل، يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر .

ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى المخيال الإعلامي (في مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي، والرأسمال الإعلامي الرمزي، والوضع و الخيال "والتمعقل" [24](من استخدام العقل) وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية وغيرها .

رواد النظريتين / المفاهيم المشتركة	تفسيرات د.عزي عبد الرحمان	تفسيرات "مارشال ماكلوهان"

وسائل الإعلام	إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، يكون تأثيرها إيجابيا و يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة.	هي قسمين : أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم و الأخرى أنها جزء من سلسلة التطور التكنولوجي.
الرسالة و الوسيلة	الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد"الدين الإسلامي"	تحدد طبيعة المجتمع والكيفية التي يعالج بها مشاكله.و الوسيلة امتداد للإنسان ولجهازه العصبي والتلفزيون يمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا.
مصطلح الاتصال	يوجد الاتصال في عدة أشكال منها : الاتصال السمعي البصري والمكتوب والشفوي الشخصي. كمأن الاتصال المكتوب من أسس قيام الحضارات.	يوجد حسب المراحل التاريخية : الاتصال الشفهي ثم الاتصال السطري يليه الاتصال المطبوع ثم الاتصال الإلكتروني التكنولوجي.كلها ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية و كلما تطورت التقنيات تطور معها المجتمع.
القرية الكونية	لا وجود لهذه القرية بل استبدلها بمفاهيم جديدة مثل المخيال الاجتماعي و التمعقل	هي حتمية لابد أن تعيشها الإنسانية مع زيادة تطور تقنيات الاتصال الحديثة.

أما أهم الركائز –المبدئية– التي تقوم عليها النظرية فتتمثل حسب عبد الرحمن عزي في :

– أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.

– أن يكون الاتصال تكامليا؛ فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي،مع التركيز على المكتوب لأنه من أسس قيام الحضارات.

– أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.

– أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.

جدول المقارنة بين حتمية "ماكلوهان" و قيمية "عزي عبد الرحمان "

الخاتمة :

الحتمية التكنولوجية هي تمظهر تقنيات الاتصال و الإعلام في الحياة الاجتماعية حتى سميّ هذا الجيل بجيل الرقمنة و التكنولوجيا , هذا من وجهة نظر "مارشال ماكلوهان " الذي يؤكد أهمية لاتصال الشفوي أي المسموع حتى توصل إلى أن الإذاعة كوسيلة اتصال جماهيري هي وسيلة "ساخنة" الأكثر تأثيرا على الجماهير من الوسائل الأخرى, ليأتي في المقابل الدكتور و الباحث العربي "الجزائري" عزّي عبد الرحمان " الذي تشبع بالثقافة العربية الإسلامية و احتك بها و اطلع على التراث الغربي على مستوى التنظير في مجالي الإعلام و الاتصال هذا الأخير جاءنا بنظرية جديدة لم يهضمها بعض المفكرين العرب ألا وهي الحتمية القيمية التي تعتمد على مفاهيم و أسس جديدة تعتمد في إثبات وجودها و تحليلاتها على العديد من الخلفيات النظرية العربية و الغربية فمن العربية نجده متأثر بفكر مالك بن نبي و في الغربية نجده يعتمد على مدرسة التفاعلات الرمزية و معجب بالاتجاه النقدي في نظريات الاتصال خاصة "مدرسة فرنكفورت" و يستعين بالبنائية الوظيفية تارة في نظرته لوظائف وسائل الإعلام في المجتمع , كما يعتمد في حججه على القرآن و السنة بالإضافة إلى مقدمة ابن خلدون .

من الناحية الاجتماعية تقترب النظرية إلى حد كبير من الواقع العربي على عكس حتمية ماكلوهان التي تبقى مجرد افتراضات , ف"المخيال الإعلامي" كمفهوم جديد موجود أصلا كممارسات في المجتمع العربي مثل عملية "التمعقل" التي بسطت عملية المشاركة في بناء الرسالة الإعلامية عند ماكلوهان في فكرة أن الوسيلة الإعلامية امتداد لحواس الإنسان مثل الإذاعة و التلفزيون كامتداد لحاسيتي السمع و البصر .

و نحن نعيش زمن الثورات الشبابية العربية التي من أهم أسبابها غياب القيم في محتويات وسائل الإعلام يعني أن القيم ليست موجودة في الوسيلة بحد ذاتها و إنما في الممارسات الإعلامية للصحفيين كما سماها عزّي بالثنائية الإعلامية " بين السلبية و الإيجابية ".

التهميش :

(1)- محمود محمد قلندر و محمد بابكر عوض: اتجاهات البحث في علم الاتصال ، دار الفكر، دمشق،2009م ، ص124.

(2)- محمد عبد الحميد , بحوث الاتصال و اتجاهات التأثير , عالم الكتب ، القاهرة, 1997, ص 30.

(3)- محمد عبد الحميد , بحوث الاتصال و اتجاهات التأثير , عالم الكتب ، القاهرة, 1997, ص 30.

(4)- محمد عبد الحميد, نفس المرجع السابق , ص32.

5-محمود محمد قلندر و محمد بابكر عوض: اتجاهات البحث في علم الاتصال , نفس المرجع السابق ، ص124.

6- د. جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام , دار الفكر العربي , القاهرة، ط 3 ، 1986,ص52.

(7)- جيهان أحمد رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام , نفس المرجع السابق, ص55.

(8)- جيهان أحمد رشتي, نفس المرجع السابق , ص56 .

(9)- عبد الرحمن عزي: دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2003م ص8.

(10)- جيهان أحمد رشتي, نفس المرجع السابق , ص58 .

(11)-اريك ميغريه, سيسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام : ترجمة موريس شربل(مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم)ط 1 ص28 .

(12)- عبد الرحمن عزي: دراسات في نظرية الاتصال, نفس المرجع السابق , ص60.

(13)- جيهان أحمد رشتي, نفس المرجع السابق , ص58 .

(14)- محمد عبد الحميد , بحوث الاتصال و اتجاهات التأثير , عالم الكتب ، القاهرة, 1997, ص 35.

(15)- محمد عبد الحميد , بحوث الاتصال و اتجاهات التأثير ,نفس المرجع السابق , ص 36.

(16)- جيهان أحمد رشتي, نفس المرجع السابق , ص60.

(17)- محمد عبد الحميد , بحوث الاتصال و اتجاهات التأثير ,نفس المرجع السابق , ص 37 .

(18)- إبراهيم إمام،الاتصال و الاتصال بالجماهير،المكتبة الأنجلو-مصرية،القاهرة،1969 ,ص 65.

19- محمد عبد الحميد , دراسات الجمهور و بحوث التأثير , دار الفكر العري , القاهرة , 2003, ص25.

20- اريك ميغريه : سيسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام , نفس المرجع السابق , ص28 .

(21)- نصير بوعلي: الإعلام والقيم؛ قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، دار الهدى، عين ميلة-الجزائر 2005م ، ص7.

(22)-عبد الرحمن عزي, دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003 م ص8.

(23)-نصير بوعلي: مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام؛ مقاربة بنيوية، مجلة كنوز الحكمة، العدد الثاني، مؤسسة كنوز الحكمة، نوفمبر 2009م، ص-ص 144-149.